١ 65

جـ دوح

ترجمة الشيخ احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني

اوصل الله هذه الترجمة الى شيخنا
بركة الوقت الشيخ ابراهيم بن سلام
البحر بعمته الله ...
نفعنا الله بم
ار

ابن قيم الجوزية اسمه محمد بن ابو بكر
ابن ايوب بن سعد بن حريز
الزرعي ثم الدمشقي ٥ من طبقات الحنا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الامام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الاصولي الزاهد تقي الدين ابو العباس شيخ الاسلام علم الاعلام وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره والاسهاب في امره ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة بحران وقدم به والده وباخوته الى دمشق عند استيلاء التتر على البلاد سنة سبع وستين فسمع الشيخ بها من ابن عبد الدائم وابن ابي اليسر وابن عبد والمجد ابن عساكر ويحيى بن الصيرفي الفقيه واحمد بن ابي الخير الحداد والقاسم الاربلي والشيخ شمس الدين ابن ابي عمر والمسلم بن علان وابراهيم بن الدرجي وخلق كثير وعني بالحديث وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير وما لا يحصى من الكتب والاجزاء وقرا بنفسه وكتب بخطه جملة من الاجزاء واقبل على العلوم في صغره فاخذ الفقه والاصول عن والده وعن الشيخ شمس الدين ابن ابي عمر والشيخ زين الدين بن المنجا وبرع في ذلك وناظر وقرا في العربية اياما على ابن عبد القوي ثم اخذ كتاب سيبويه فتامله ففهمه واقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه واحكم اصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ونظر في علم الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على اهله ورد على رؤسائهم واكابرهم ومهر في هذه الفضائل وتاهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة وافتى من قبل العشرين ايضا وامده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئا فينساه ثم توفي والده الشيخ شهاب الدين المتقدم ذكره وكان له حينئذ احدى وعشرين سنة فقام بوظائفه فدرس بدار الحديث السكرية في اول سنة ثلاث وثمانين وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي والشيخ تاج الدين الفزاري وزين الدين ابن المرحل والشيخ زين الدين بن المنجا وجماعة وذكر درسا عظيما في البسملة وهو مشهور بين الناس وعظمه الجماعة الحاضرون واثنوا عليه ثناء كثيرا قال الذهبي وكان الشيخ تاج الدين الفزاري يبالغ في تعظيم الشيخ تقي الدين بحيث انه علق بخطه درسه بالسكرية ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر ايام الجمع لتفسير القرآن العظيم وشرع من اول القرآن فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين او اكثر وبقي يفسر في سورة نوح عدة سنين ايام الجمع وفي سنة تسعين ذكر على الكرسي يوم جمعة شيئا من الصفات فقام بعض المخالفين وسعوا في منعه من الجلوس فلم يمكنهم ذلك وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخويي انا على اعتقاد الشيخ تقي الدين فعوتب على ذلك فقال لان ذهنه صحيح ومواده كثيرة فهو لا يقول الا الصحيح وقال الشيخ شرف الدين المقدسي انا ارجو بركته ودعاءه وهو صاحبي واخي وشرع الشيخ في الجمع والتصنيف من دون العشرين ولم يزل في علو وازدياد من العلم والقدر الى آخر عمره قال الذهبي في معجم شيوخه احمد بن عبد الحليم وساق نسبه الحراني ثم الدمشقي الحنبلي ابو العباس تقي الدين شيخنا

وشيخ

وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا الهيا وكرما ونصحا للامة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتب وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصله غيره برع في تفسير القرآن وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر الى مواقع الاشكال ميال واستنبط منه اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث معزوا الى اصوله وصحابته مع شدة استحضاره له وقت اقامة الدليل وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث انه اذا افتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده واتقن العربية اصولا وفروعا وتعليلا واختلافا ونظر في العقليات وعرف اقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطائهم وحذر منهم ونصر السنة باوضح حجج وابهر براهين واوذي في ذات الله من المخالفين واخيف في نصر السنة المحضة حتى اعلى الله مناره وجمع قلوب اهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت اعداءه وهدى به رجالا من اهل الملل والنحل وجبل قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته واحيى به الشام بل الاسلام بعد ان كاد ينثلم بتثبيته اولي الامر لما اقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم وظنت بالله الظنون وزلزل المؤمنون واشرأب النفاق وابدى صفحته ومحاسنه كثيرة وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت اني ما رايت بعيني مثله وانه ما راى مثل نفسه وقد قرات بخط الشيخ العلامة ابن الزملكاني ما كتبه تحت اسم ابن تيمية كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم ان احدا لا يعرف مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فانقطع منه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع او غيرها الا فاق فيه اهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها قال الذهبي في معجمه المختص كان اماما متبحرا في علوم الديانة صحيح الذهن سريع الادراك سيال الفهم كثير المحاسن موصوفا بفرط الشجاعة والكرم فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه قلت وقد عرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين ومشيخة الشيوخ فلم يقبل شيئا من ذلك قرات ذلك بخطه قال الذهبي ذكره ابو الفتح اليعمري الحافظ ابن سيد الناس في جواب سؤالات ابي العباس ابن الدمياطي الحافظ فقال الفيته ممن ادرك من العلوم حظا وكان يستوعب السنن والآثار حفظا ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته وان افتى في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته او حاضر بالنحل والملل لم ير اوسع من نحلته ولا ارفع من درايته برز في كل فن على ابناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ولا رات عينه مثل نفسه وقد كتب الذهبي في تاريخه الكبير للشيخ ترجمة مطولة وقال فيها وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفرد به فلا يبلغ احد في العصر رتبته ولا يقاربه وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث

قال ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة ان يجيز لاولاده فكتب لهم في ذلك نحوا من
ستمائة سطر منها سبعة احاديث باسانيدها والكلام على صحتها ومعانيها وبحث وعمل ما اذا نظر
فيه المحدث خضع له من صناعة الحديث وذكر اسانيده في عدة كتب ونبه على العوالي عمل ذلك كله
من حفظه من غير ان يكون عنده ثبت او من يراجعه ولقد كان عجيبا في معرفة علم الحديث فاما
حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند فما رايت من يدانيه في ذلك اصلا قال واما
التفسير فمسلم اليه وله في استحضار الايات من القران وقت اقامة الدليل بها على المسالة قوة عجيبة
واذا راه المقرئ تحير فيه ولفرط امامته في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من اقوال المفسرين
ويوهي اقوالا عديدة ~~ويرجح قولا واحدا~~ وينصر قولا واحدا موافقا لما دل عليه القران والحديث
ويكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة والاوائل
نحوا من اربعة كراريس او ازيد قلت وقد كتب الحموية في قعدة واحدة وهي ازيد من ذلك
وكتب في بعض الاحيان في اليوم ما يبيض منه مجلد وكان رحمه الله تعالى فريد دهره في فهم القران ومعرفة
حقائق الايمان وله يد طولى في الكلام على المعارف والاحوال والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه
وقويمه وقد كتب ابن الزملكاني بخطه على كتاب ابطال التحليل للشيخ ترجمة الكتاب واسم الشيخ وترجم
له ترجمة عظيمة واثنى عليه ثناء عظيما وكتب ايضا تحت ذلك ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا اعجوبة الدهر هو اية للخلق ظاهرة انوارها اربت على الفجر وللشيخ
اثير الدين ابي حيان الاندلسي النحوي لما دخل الشيخ مصر واجتمع به ويقال ان ابا حيان لم يقل ابياتا خيرا
منها ولا افحل لما اتانا تقي الدين لاح لنا داع الى الله فرد ما له وزر على محياه من سيما الاولى صحبوا خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا بحر تقاذف من امواجه الدرر قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فاظهر الدين اذ اثاره درست واخمد الشر اذ طارت له شرر يا من تحدث عن علم الكتاب اصخ هذا الامام الذي قد كان ينتظر
وقال الذهبي عن الشيخ ان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد قال له عند اجتماعه به وسماعه لكلامه ما
كنت اظن ان الله بقي يخلق مثلك ومما وجد في كتاب كتبه العلامة قاضي القضاة ابو الحسن السبكي
الى الحافظ ابي عبد الله الذهبي في امر الشيخ تقي الدين اما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره
وزخارة بحره وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك
المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك واجل مع ما
جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على
سنن السلف واخذه من ذلك بالماخذ الاوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من ازمان وكان
الحافظ ابو الحجاج المزي يبالغ في تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول لم ير مثله منذ اربعمائة سنة
وبلغني من طريق صحيح عن ابن الزملكاني انه سئل عن الشيخ فقال لم ير من خمسمائة سنة او اربعمائة سنة
الشك من الناقل وغالب ظنه انه قال من خمسمائة احفظ منه وكذلك كان اخو الشيخ شرف الدين
يبالغ

يبالغ في تعظيمه جدا وكذلك المشايخ العارفون كالقدوة ابي عبد الله محمد بن قوام ويحكى عنه انه كان يقول
ما اسلمت معارفنا الا على يد ابن تيمية والشيخ عماد الدين الواسطي كان يعظمه جدا وتتلمذ له مع انه كان
اسن منه وكان يقول قد شارف مقام الائمة الكبار ويناسب قيامه في بعض الامور قيام الصديقين
وكتب رسالة الى خواص اصحاب الشيخ يوصيهم بتعظيمه واحترامه ويعرفهم حقوقه ويذكر فيها انه
طاف اعيان بلاد الاسلام ولم ير فيها مثل الشيخ علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحلما في حق
نفسه وقياما في حق الله عند انتهاك حرماته واقسم على ذلك بالله ثلاث مرات ثم قال اصدق عقود
واصحهم علما وعزما وانفذهم واعلاهم في انتصار الحق وقيامه واسخاهم كفا واكملهم اتباعا لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ما راينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من اقواله وافعاله الا هذا
الرجل بحيث يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة ولكن كان هو وجماعة من خواص اصحابه
ربما انكروا من الشيخ كلامه في بعض الائمة الكبار الاعيان او في اهل التخلي والانقطاع ونحو ذلك وكان
الشيخ رحمه الله لا يقصد بذلك الا الخير والانتصار للحق ان شاء الله تعالى وطوائف من ائمة اهل الحديث
وحفاظهم وفقهائهم كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه ولم يكونوا يحبون له التوغل مع اهل الكلام
والفلاسفة كما هو طريقة ائمة اهل الحديث المتقدمين كالشافعي واحمد واسحق وابي عبيد ونحوهم وكذلك
كثير من العلماء من الفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التي انكرها
السلف على من شذ بها حتى ان بعض قضاة العدل من اصحابنا منعه من الافتاء ببعض ذلك قال
الذهبي وغالب حطه على الفضلاء والمتزهدة فبحق وفي بعضه هو مجتهد ومذهبه توسعة العذر
للخلق ولا يكفر احدا الا بعد قيام الحجة عليه قال ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية واحتج
لها ببراهين ومقدمات وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات احجم عنها الاولون والاخرون
وهابوا وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه وبدعوه وناظروه
وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي اداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه
وسعة دائرته في السنن والاقوال مع ما اشتهر عنه من الورع وكمال الفكر وسرعة الادراك والخوف من الله
والتعظيم لحرمات الله فجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية وكم من نوبة قد رموه
عن قوس واحدة فينجيه الله فانه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجاش له اوراد واذكار
يدمنها بكيفية وجمعية وله من الطرف الاخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والامراء ومن التجار
والكبراء وسائر العامة تحبه لانه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا بلسانه وعلمه واما شجاعته فبها تضرب الامثال
وببعضها يتشبه اكابر الابطال فلقد اقامه وجراته على المغول وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى
كانه ليث حرب وهو اكبر من ان ينبه مثلي على نعوته وفيه قلة مداراة وعدم تؤدة غالبا والله
يغفر له وله اقدام وشهامة وقوة نفس توقعه في امور صعبة فيدفع الله عنه وله نظم قليل
وسط ولم يتزوج ولا تسرى ولا له من المعلوم الا شيء قليل واخوه يقوم بمصالحه ولا يطلب منهم غداء
ولا عشاء في غالب الوقت وما رايت في العالم اكرم منه ولا افرغ منه عن الدنيا والدرهم ولا يذكره ولا اظنه

الله في نوبة غازان والتقى اعباء الامر بنفسه وقام
وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين
وبقطلوشاه وببولاي

يدور في دهنه وفيه مروة وقيام مع اصحابه وسعي في مصالحهم وهو فقير لا مال له وملبوسه كاحاد
الفقها فرجية ودلق وعمامة تكون قيمته ثلاثين درهما ومداس ضعيف الثمن وشعره مقصوص وهو
ربع القامة بعيد ما بين المنكبين كان عينيه لسانان ناطقان ويصلي بالناس صلاة لا يكون اطول
من ركوعها ولا سجودها وربما قام لمن يجي من سفر او غاب عنه واذا جا فربما يقومون له والكل عنده
سوآء فانه فارغ من هذه الرسوم ولم ينحن لاحد قط وانما يسلم ويصافح ويتبسم وقد يعظم جليسه مرة ويهينه
في المحاورة مرات قلت وقد سافر الشيخ مرة على البريد الى الديار المصرية يستنفر السلطان
عند مجي التتر سنة من السنين وتلا عليهم ايات الجهاد وقال ان تخليتم عن الشام ونصرة اهله والذب عنهم
فان الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم ويستبدل بكم سواكم وتلا قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا امثالكم وقوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا
وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وكان هو القاضي حينئذ فاستحسن ذلك واعجبه هذا
الاستنباط وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام واما محن الشيخ فكثيرة وشرحها
يطول جدا وقد اعتقله مرة بعض نواب السلطان بالشام قليلا بسبب قيامه على نصراني سب الرسول
واعتقل معه الشيخ زين الدين الفارقي ثم اطلقهما مكرمين ولما صنف المسئلة الحموية في الصفات
شنع بها جماعة ونودي عليها في الاسواق على قصبة وان لا يستفتى من جهة بعض القضاة الحنفية
ثم انتصر للشيخ بعض الولاة ولم يكن في البلد حينئذ نائب وضرب المنادي وبعض من معه وسكن الامر ثم امتحن
سنة خمس وسبعمائة بالسوال عن معتقده بامر السلطان فجمع نائبه القضاة والعلما بالقصر واحضر الشيخ
وسالوه عن ذلك فبعث الشيخ فاحضر من داره العقيدة الواسطية فقروها في ثلث مجالس وحاققوه
وبحثوا معه ووقع الاتفاق بعد ذلك على ان هذه عقيدة سنية سلفية فمنهم من قال ذلك طوعا ومنهم من قاله كرها
وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه انما قصدنا براة ساحة الشيخ وتبين لنا انه على عقيدة السلف
ثم ان المصريين دبروا الحيلة في امر الشيخ وراوا انه لا يمكن البحث معه ولكن يعقد له مجلس ويدعى عليه
وتقام عليه الشهادات وكان القائمون في ذلك منهم بيبرس الششنكير الذي تسلطن بعد ذلك ونصر
المنبجي وابن مخلوف قاضي المالكية فطلب الشيخ على البريد الى القاهرة وعقد له ثاني يوم وصوله وهو
ثاني عشرين رمضان سنة خمس وسبعمائة مجلس بالقلعة وادعي عليه عند ابن مخلوف قاضي المالكية انه يقول ان
الله تكلم بالقران بحرف وصوت وانه على العرش بذاته وانه يشار اليه بالاشارة الحسية وقال المدعي
اطلب تعزيره على ذلك التعزير البليغ يشير الى القتل على مذهب مالك فقال ما تقول يا فقيه فحمد الله واثنى
عليه فقيل له اسرع ما جئت لتخطب فقال امنع من الثنا على الله تعالى فقال القاضي اجب فقد حمدت الله فسكت
الشيخ فقال اجب فقال الشيخ له من هو الحاكم فيّ فاشاروا القاضي هو الحاكم فقال الشيخ لابن مخلوف انت
خصمي كيف تحكم فيّ وغضب ومراده اني واياك متنازعان في هذه المسائل فكيف يحكم احد الخصمين على الاخر
فيها واقيم الشيخ ومعه اخواه ثم رد الشيخ وقال رضيت ان يحكم فيّ فلم يمكن من الجلوس ويقال ان اخاه
الشيخ شرف الدين ابتهل ودعا الله عليهم في حال خروجهم فمنعه الشيخ وقال له بل قل اللهم هب لهم نورا
يهتدون به الى الحق ثم حبسوا في برج اياما ونقلوا الى الجب ليلة عيد الفطر ثم بعث كتاب سلطاني
الى الشام بالحط على الشيخ والزام الناس خصوصا اهل مذهبه بالرجوع عن عقيدته والتهديد

بالزرا

بالعزل والحبس ونودي بذلك في الجامع والاسواق ثم قري الكتاب بسدة الجامع بعد الجمعة وحصل اذى
كثير للحنابلة بالقاهرة وحبس بعضهم واخذ خطوط بعضهم بالرجوع وكان قاضيهم الحراني قليل
العلم ثم في سلخ رمضان سنة ست حضر سلار نائب السلطنة بمصر القضاة والفقها وتكلم
في اخراج الشيخ فاتفقوا على انه يشترط عليه امور ويلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه
من يحضره ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب الى الحضور وتكرر الرسول اليه في ذلك ست مرات وصمم على عدم
الحضور فطال عليهم المجلس وانصرفوا على غير شي ثم في اخر هذه السنة وصل كتاب الى نائب السلطنة
بدمشق فاخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه واثنى عليه وقال ما رايت مثله ولا اشجع منه وذكر
ما هو عليه في السجن من التوجه الى الله تعالى وانه لا يقبل شيئا من الكسوة السلطانية ولا من الادرار
السلطاني ولا تدنس بشي من ذلك ثم في ربيع الاول سنة سبع وسبعمائة دخل مهنا بن عيسى امير
العرب الى مصر وحضر بنفسه الى السجن واخرج الشيخ منه بعد ان استاذن في ذلك وعقد للشيخ
مجالس حضرها اكابر الفقها وانفصلت على خير وذكر الذهبي والبرزالي وغيرهما ان الشيخ كتب لهم بخطه
مجملا من القول والفاظا فيها بعض ما فيها لما خاف وهدد بالقتل ثم اطلق وامتنع من المجي الى دمشق واقام
بالقاهرة يقرئ العلم ويتكلم في الجوامع والمجالس العامة ويجتمع عليه خلق ثم في شوال من السنة المذكورة اجتمع
جماعة كثيرة من الصوفية وشكوا من الشيخ الى الحاكم الشافعي وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي وغيره
وادعى عليه ابن عطا باشيا ولم يثبت شيئا منها لكنه اعترف انه قال لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم
استغاثة بمعنى العبادة ولكن يتوسل به فبعض الحاضرين قال ليس في هذا شي وراى الحاكم ابن جماعة
ان هذا اساة ادب وعنفه على ذلك فحضرت رسالة الى القاضي ان يعمل معه ما تقتضيه الشريعة
في ذلك فقال القاضي قد قلت له ما يقال لمثله ثم ان الدولة خيروه بين اشيا وهي الاقامة بدمشق
او بالاسكندرية بشروط او الحبس فاختار الحبس فدخل عليه اصحابه في السفر الى دمشق ملتزما ما شرط
عليه فاجابهم فاركبوه خيل البريد ثم ردوه من الغد وحضر عند القاضي بحضور جماعة من الفقها
فقال له بعضهم ما ترضى الدولة الا بالحبس فقال القاضي وفيه مصلحة له واستناب التونسي المالكي
واذن له ان يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال ما ثبت عليه شي فاذن لنور الدين الزواوي المالكي
فتحير فقال الشيخ انا امضي الى الحبس واتبع ما تقتضيه المصلحة فقال الزواوي المذكور فيكون في موضع
يصلح لمثله فقيل له ما ترضى الدولة الا بمسمى الحبس فارسل الى حبس القاضي واجلس في الموضع الذي اجلس
فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الاعز لما حبس واذن ان يكون عنده من يخدمه وكان جميع ذلك باشارة
نصر المنبجي واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ويزورونه وتاتيه الفتاوى المشكلة
من الامرا واعيان الناس وكان اصحابه يدخلون عليه اولا سرا ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه فاخرجوه
في سلطنة الششنكير الملقب بالمظفر الى الاسكندرية على البريد وحبس فيها في برج حسن مضي متسع
يدخل عليه من شا ويمنع هو من شا ويخرج الى الحمام اذا شا وكان قد اخرج وحده وارجف الاعدا
بقتله وتغريقه غير مرة فضاق بذلك صدور محبيه بالشام وغيره وكثر الدعا له وبقي في الاسكندرية
مدة سلطنة المظفر فلما عاد الملك الناصر الى السلطنة وتمكن واهلك المظفر وحمل شيخه نصر المنبجي

واشتدت موجدة السلطان على القضاة لما اخلفهم المظنون في بعضهم وبادر باحضار الشيخ الى
القاهرة مكرما في شوال سنة تسع وسبعمائة واكرمه السلطان اكراما زائدا وقام اليه وتلقاه في مجلس حفل فيه
قضاة المصريين والشاميين والفقهاء واعيان الدولة وزاد في اكرامه عليهم وبقي يساره ويستشيره
سويعة واثنى عليه بحضورهم ثناء كثيرا واصلح بينه وبينهم ويقال انه شاوره في امرهم به في حق
القضاة فصرفه عن ذلك واثنى عليهم وان ابن مخلوف كان يقول ما راينا افتى من ابن تيمية سعينا
في دمه فلما قدر علينا عفا عنا واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد اشهر وسكن الشيخ بالقاهرة والناس
يترددون اليه والامراء والجند وطائفة من الفقهاء ومنهم من يعتذر اليه ويتنصل مما وقع
قال الذهبي وفي شعبان سنة احدى عشرة وصل النبا ان الفقيه البكري احد المبغضين للشيخ استفرد
بالشيخ بمصر ووثب عليه ونتش باطواقه وقال احضر معي الى الشرع فلي عليك دعوى فلما تكاثر الناس انملص
فطلب من جهة الدولة فهرب واختفى وذكر غيره انه ثار بسبب ذلك فتنة واراد جماعة الانتصار من البكري
فلم يمكنهم الشيخ من ذلك واتفق بعد مدة ان البكري هم السلطان بقتله ثم رسم بقطع لسانه لكثرة فضوله
وجراءته ثم شفع فيه فنفي الى الصعيد ومنع من الفتوى والكلام في العلم وكان الشيخ في هذه المدة يقرئ العلم
ويجلس للناس في مجالس عامة ثم قدم الى الشام هو واخوته سنة اثنتي عشرة بنية الجهاد لما قدم السلطان لكشف
التتر عن الشام فخرج مع الجيش وفارقهم من عسقلان وزار البيت المقدس ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق
سبع سنين ومعه اخواه وجماعة من اصحابه وخرج خلق كثير لتلقيه وسر الناس بمقدمه واستمر على ما كان
عليه اولا من اقراء العلم وتدريسه بمدرسة السكرية والحنبلية وافتاء الناس ونفعهم ثم في سنة ثمان عشرة
ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسلة الحلف بالطلاق بالتكفير وعقد له مجلس بدار السعادة
ومنع من ذلك ونودي به في البلد ثم في سنة تسع عشرة عقد له مجلس ايضا كالمجلس الاول وقرئ كتاب السلطان
بمنعه من ذلك وعوتب على فتياه بعد المنع وانفصل المجلس على تاكيد المنع ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث
بسبب ذلك وعوتب وحبس بالقلعة ثم حبس لاجل ذلك مرة اخرى ومنع بسببه من الفتيا مطلقا واقام
مدة يفتي بلسانه ويقول لا يسعني كتم العلم وفي اخر الامر دبروا عليه الحيلة في مسلة المنع من السفر الى قبور
الانبياء والصالحين والزموه من ذلك التنقص بالانبياء وذلك كفر وافتى بذلك طائفة من اهل الاهواء
وهم ثمانية عشر نفسا راسهم القاضي الاخنائي المالكي وافتى قضاة مصر الاربعة بحبسه فحبس بقلعة دمشق
سنتين واشهرا وبها مات رحمه الله تعالى وقد بين رحمه الله تعالى ان ما حكم عليه به باطل باجماع المسلمين
من وجوه كثيرة جدا وافتى جماعة بانه يخطئ في ذلك خطا المجتهدين المغفور لهم ووافقه جماعة من علماء
بغداد وغيرهم وكذلك ابنا ابي الوليد شيخ المالكية بدمشق افتيا انه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله اصلا
وانه نقل خلاف العلماء في المسلة ورجح احد القولين فيها وبقي مدة في القلعة يكتب العلم ويصنفه
ويرسل الى اصحابه الرسائل ويذكر ما فتح الله به عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة والاحوال الجسيمة
وقال قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القران ومن اصول العلم باشياء كان كثير من العلماء
يتمنونها وندمت على تضييع اكثر اوقاتي في غير معاني القران ثم انه منع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم
ولا ورق فاقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر قال شيخنا ابو عبد الله بن القيم سمعت شيخنا شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الاخرة
قال وقال لي مرة ما يصنع اعدائي بي انا جنتي وبستاني في صدري اين رحت فهي معي لا تفارقني انا حبسي خلوة

وقتلي

وقتلي شهادة واخراجي من بلدي سياحة وكان في حبسه في القلعة يقول لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا
ما عدل عندي شكر هذه النعمة او قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا وكان يقول في سجوده
وهو محبوس اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله وقال مرة المحبوس من حبس قلبه عن ربه والماسور
من اسره هواه ولما دخل الى القلعة وصار داخل سورها نظر اليه وقال فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال شيخنا وعلم الله ما رايت احدا اطيب عيشا منه قط
مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والارجاف وهو مع ذلك اطيب الناس عيشا واشرحهم صدرا واقواهم
قلبا واسرهم نفسا يلوح النعيم على وجهه وكنا اذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون وضاقت
بنا الارض اتيناه فما هو الا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا
وطمانينة فسبحان من اشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم ابوابها في دار العمل فاتاهم من روحها ونسيمها
وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة اليها انتهى واما تصانيفه رحمه الله تعالى فهي
اشهر من ان تذكر واعرف من ان تنكر سارت مسير الشمس في الاقطار وامتلات بها البلاد والامصار
قد جاوزت حد الكثرة فلا يمكن احد حصرها ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها ولا ذكرها ولنذكر نبذة
من اسماء اعيان المصنفات الكبار كتاب الايمان مجلد كتاب الاستقامة مجلدان جواب الاعتراضات
المصرية على الفتاوى الحموية اربع مجلدات بيان تلبيس الجهمية في تاسيس بدعهم الكلامية في ست مجلدات
كبار كتاب المحنة المصرية مجلدان المسائل الاسكندرية مجلد الفتاوى المصرية سبع مجلدات وكل هذه
التصانيف ما عدا كتاب الايمان كتبه وهو بمصر في مدة سبع سنين صنفها في السجن وكتب معها اكثر من مائة
لفة ورق ايضا كتاب درء تعارض العقل والنقل اربع مجلدات كبار والجواب عما اورده الشيخ كمال
الدين ابن الشريشي على هذا الكتاب نحو مجلد كتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة
والقدرية اربع مجلدات الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح مجلدان شرح اول المحصل للرازي
مجلد شرح بضعة عشر مسالة من الاربعين للرازي مجلدان الرد على المنطق مجلد كبير الرد على البكري
في مسالة الاستغاثة مجلد الرد على اهل كسروان الرافضة مجلدان الصفدية جواب من قال ان
معجزات الانبياء قوى نفسانية مجلد الهلاوونية مجلد شرح عقيدة الاصبهاني مجلد شرح العمدة للشيخ
موفق الدين كتب منه اربع مجلدات تعليقة على المحرر في الفقه لجده عدة مجلدات الصارم المسلول
على شاتم الرسول مجلد بيان الدليل على بطلان التحليل مجلد اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة اصحاب
الجحيم مجلد التحرير في مسالة حفير مجلد في مسالة من القسمة كتبها اعتراضا مجلدات كتاب تحقيق الفرقان
بين التطليق والايمان مجلد كبير الرد على الاخنائي في مسالة الزيارة مجلد واما القواعد المتوسطة
والصغار واجوبة الفتاوى فلا يمكن الاحاطة بها لكثرتها وانتشارها وتفرقها ومن اشهرها
الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان مجلد لطيف الفرقان بين الحق والبطلان مجلد لطيف
الفرقان بين الطلاق والايمان مجلد لطيف السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية مجلد لطيف
رفع الملام عن الائمة الاعلام مجلد لطيف ذكر نبذة من مفرداته وغرائبه اختار رفع الحدث بالمياه
المعتصرة كماء الورد ونحوه واختار جواز المسح على النعلين والقدمين وكل ما يحتاج في نزعه من الرجل
الى معالجة باليد او بالرجل الاخرى فانه يجوز عنده المسح عليه مع القدمين واختار ان المسح على

[illegible]

على الخفين لا يتوقت مع الحاجة كالمسافر على البريد ونحوه وفعل ذلك في ذهابه الى الديار المصرية على خيل
البريد ويتوقت مع امكان النزع وتيسره واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها واختار جواز التيمم
لخشية فوات الوقت في حق غير المعذور كمن اخر الصلاة عمدا حتى تضايق وقتها وكذا من خشي فوات الجمعة
والعيدين وهو محدث فاما من استيقظ وذكر في اخر وقت الصلاة فانه يتطهر بالماء ويصلي لان الوقت متسع في حقه
واختار ان المراة اذا لم يمكنها الاغتسال في البيت وشق عليها النزول الى الحمام وتكرره انها تتيمم وتصلي واختار
ان لا حد لاقل الحيض ولا لاكثره ولا لاقل الطهر بين الحيضتين ولا لسن الاياس من الحيض وان ذلك يرجع
الى ما تعرفه كل امراة من نفسها واختار ان تارك الصلاة عمدا لا يجب عليه القضاء ولا يشرع له بل يكثر من النوافل
وان القصر يجوز في قصير السفر وطويله وان سجود التلاوة لا يشترط له طهارة

بيض المص هنا نحو ورقات كذا في الاصل

ذكر وفاته مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين الى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ثم مرض
بضعة وعشرين يوما ولم يعلم اكثر الناس بمرضه ولم يفجاهم الا موته وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين
عشرين ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع وتكلم به الحرس
على الابرجة فتسامع الناس بذلك وبعضهم اعلم به في منامه واصبح الناس واجتمعوا حول القلعة حتى
اهل الغوطة والمرج ولم يطبخ اهل الاسواق شيئا ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التي من شانها ان تفتح اول النهار
وفتح باب القلعة وكان نائب السلطنة غائبا عن البلد فجاء الصاحب الى نائب القلعة فعزاه به وجلس عنده واجتمع
عند الشيخ في القلعة خلق كثير من اصحابه يبكون ويثنون واخبرهم اخوه زين الدين عبد الرحمن انه ختم
هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين فانتهيا الى قوله تعالى ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فشرع حينئذ الشيخان الصالحان عبد الله بن المحب
الصالحي والزرعي الضرير وكان الشيخ يحب قراءتهما فابتدآ من سورة الرحمن حتى ختما القرآن وخرج
الرجال ودخل النساء من اقارب الشيخ فشاهدوه ثم خرجوا واقتصر على من يغسله ويساعد
على تغسيله وكانوا جماعة من اكابر الصالحين واهل العلم كالمزي وغيره ولم يفرغ من غسله حتى امتلات
القلعة بالرجال وما حولها الى الجامع فصلي عليه بدركات القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام وضج
الناس حينئذ بالبكاء والثناء وبالدعاء والترحم واخرج الشيخ الى جامع دمشق في الساعة الرابعة او نحوها
وكان قد امتلا الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات الى اللبادين والفوارة وكان
الجمع اعظم من جمع الجمعة ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة والجند يحفظون الجنازة
من الزحام وجلس الناس على غير صفوف بل مرصوصين لا يتمكن احد من الجلوس والسجود الا بكلفة
وكثر الناس كثرة لا توصف فلما اذن المؤذن بالظهر اقيمت الصلاة على السدة بخلاف العادة
وصلوا الظهر ثم صلي على الشيخ وكان الامام نائب الخطابة علاء الدين ابن الخراط لغيبة القزويني
بالديار المصرية ثم ساروا به والناس في بكاء ودعاء وثناء وتهليل وتاسف والنساء فوق الاسطحة
من هناك الى المقبرة يبكين ويدعين وكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله ولم يتخلف من
اهل البلد وحواضره الا القليل من الضعفاء والمخدرات وصرخ صارخ هكذا تكون جنائز ائمة
السنة فبكى الناس بكاء كثيرا عند ذلك واخرج من باب البريد واشتد الزحام والقى الناس على
نعشه مناديلهم وعمائمهم وصار النعش على الرؤوس يتقدم تارة ويتاخر اخرى وخرج الناس
من ابواب الجامع كلها وهي مزدحمة ثم من ابواب المدينة كلها لكن كان المعظم من باب الفرج
ومنه خرجت الجنازة ومن باب الفراديس وباب النصر وباب الجابية وعظم الامر بسوق الخيل

وتقدم

وتقدم في الصلاة عليه هناك اخوه زين الدين عبد الرحمن ودفن وقت العصر او قبلها بيسير الى جانب
اخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية وحزر الرجال بستين الفا واكثر الى مائتي الف والنساء
بخمسة عشر الفا وظهر بذلك قول الامام احمد رضي الله تعالى عنه بيننا وبين اهل البدع يوم الجنائز
وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة وتردد الناس الى زيارة قبره اياما كثيرة ليلا ونهارا ورؤيت
له منامات كثيرة صالحة ورثاه خلق من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى واقطار
متباعدة وتاسف المسلمون لفقده رضي الله تعالى عنه ورحمه وغفر له وصلي عليه صلاة الغائب في غالب
بلاد الاسلام القريبة والبعيدة حتى في اليمن والصين واخبر المسافرون انه نودي باقصى الصين
للصلاة عليه يوم جمعة الصلاة على ترجمان القرآن وقد افرد الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الهادي
ترجمته في مجلدة وكذلك ابو حفص عمر بن علي البزار البغدادي في كراريس وانما ذكرنا هنا على وجه
الاختصار ما يليق بتراجم هذا الكتاب وقد حدث الشيخ كثيرا وسمع منه خلق من الحفاظ والائمة
من الحديث ومن تصانيفه وخرج له ابن الواني اربعين حديثا حدث بها

تم [illegible] ليلة السبت
١٢ شوال ١٣٤٢
وصلى [illegible] وسلم